نـافـذة

الله والحب

الحب رسالة السماء، كما هو طبيعة الأرض، والسماء مهما كان رأينا واعتقادنا هي السمو المعنوي والرفعة، وما من شك بأن نواميس الطبيعة وجدت لجعل حياة الإنسان أكثر جمالاً، وأعمق حباً، وأجدر بالتشبث بها، وما من شريعة صدرت عن الدين والديان إلا وكان الحب ديدنها، فالله اختار إنسانه، وقبل أن يصبح الاختيار تمييزاً وقهراً لشعوب من شعوب أخرى، كان اختيار الإنسان تفضيلاً له، واختياره خليفة في الأرض، والخليفة هنا ليس ناطقاً باسمه، وليس مطبقاً لما يفهم وبالطريقة التي يفهم، وإنما بمفهوم استخلاف من كان على هيئة جميلة ومفضلة وسامية... وكان الله في الشريعة محبة،الله محبة، وهل بعد الحب من صفة للألوهية التي اختارت المفضل لديها؟

وجاءت شريعة الإسلام لتعطي الحب ومعانيه بأبهى صورة وتجل، وأعلى صورة جاءت في القرآن معبرة عن الحب هي القربّ، فالله قريب ممن أحبه واختاره، لا واسطة بينه وبينه، مهما كان نوع هذه الواسطة (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) هذا القرب المعنوي هو أهم ما يحكم علاقة الحب العظيمة بين الله والعبد، واستخدم لفظ القرب من دون أي التباس أو مداورة، وهو قرب الحب ممن؟ من العباد الذين يطلبون عوناً، والذين يريدون قدرة الإلـه.. وثاني مظاهر الحب في النص القرآني هو الحب بلفظه، لعلاقة تبادلية في الحب بين الله والإنسان (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) فالحب احتمال، ولكنه تفاعلي تبادلي بين المحب والمحبوب، ولا يمكن أن يكون الحب من طرف واحد حتى في العلاقة مع الله، إن كنتم تحبون الله! فهل هناك من لا يحب؟ نعم هناك من لا يحب خلقه، وهناك من لا يتبع هديه ورسالاته، والهدي والرسالات ليس أكثر من دعوة للتحاب، ويخطئ من يزعم أن الدعوة تتجاوز الحب، ولو قرأنا كل ما جاء في الرسالات فإننا لن نجد إلا الحب، حتى في العبادات التي جاءت في كل شريعة من شرائع الله غايتها النهائية هي الحب، فالزكاة تطهير يشترك فيه الآخر عندما نحبه ونتعاضد معه، وحين تتم مساعدته على تجاوز شظف العيش، فإن الحب هو الذي يهيمن ويسيطر، شريطة أن تكون العلاقة تبادلية لا تقوم على الاستغلال والمنّ والتفضل، وفي الجانب الآخر لا تقوم على الحسد والضغينة وضيق العين والحقد بما أنعم الله على هذا الإنسان.

والصلاة خضوع وحب وتقرب، ولا يمكن لمن يتقرّب إلى الله إلا أن يكون الله قريباً منه، وفي حالة الخضوع والتماهي والانعتاق يكون الرب أقرب ما يكون إلى عبده عندما يجأر له بصوت أو بهمس أو بإجهاش.

والحج انعتاق من الدنيا، ووقوف بثوب الطهر أمام المولى سبحانه، يأتيه فقيراً ولا يملك جيباً. ومالاً، وهو الذي يحتضن بياضه ونقاءه، ويدلق في جوفه ماء هو الزمزم الصافي ليشعره بعمق الصلة والحب له وهو الذي انعتق من كل شيء إلا من الارتحال إليه في مكان محدد أو زمان محدد، وحكمة الحب منتصبة أمامنا، فإن لم يستطع فكأنه فعل، وإن عزم فكأنه فعل، فهل هناك مرتبة فوق هذا الحب الذي يمنح بالفعل وبغيره؟ والصوم تطهر واقتراب، سعي للوصول إلى التلاشي لأجل من تحب، وشعور بالإنسان الآخر وما يعانيه، مشاركة في الجوع والطعام، مشاركة في التطهر والوصول إلى لحظة واحدة في الكون يصل فيها الإنسان إلى مائدة من يحب، ورأس الإيمان بالحب الاعتراف بأن الحياة ليست ملكاً لنا، وأننا لا نملك أن نحاسب أو نعاقب، وإنما نسلّم ونحبّ ونفوض الأمر بعد أن شهدنا بوحدانيته وتحكمه بمصائرنا وسرائرنا!

ما من حب يعلو علاقة الحب بالله، فكل الحب واصل ومنهمر بين يدي المخلوق إلا إذا جاهر بكرهه لهذا الخالق، ومن هنا جاء الاحتمال إن كنتم تحبون، فهناك من يعجز عن حب الإنسان في صورة الخالق كما أراده، وهناك من يرى هيئته هي الأسمى والأعلى وعلى الناس أن يتخلوا عن صورهم لعلهم يشبهونه! حب الله لعبده أو للإنسان فوق ما يمكن أن يتخيله عقل، سواء كان هذا العقل مؤمناً أم لم يكن، فهو يخاطب خلقه جميعاً، ولا يخص طائفة أو مذهباً أو فئة، يتوجه بخطابه للمؤمنين وغير المؤمنين لمطلق إنسان (وسخر لكم ما في السموات وماقي الأرض) ونردد في كل لحظة (سبحان الذي سخر لنا هذا)..! عندما يضع الله بين أيدينا كل شيء، ويسخر لنا كل شيء، نعرفه أو لا نعرفه، رأيناه، أم لم نره، أدركناه أم عجزنا عن إدراكه فقد بلغنا الغاية من الحب، وهو الذي سخر لنا ما في السموات والأرض، ليس هناك من شيء مستثنًى من أن يكون في خدمة المحب وهو الإنسان، فله وبحب الله كل ما في السموات والأرض، ولا يعنينا هنا من يقوم بالتخصيص ويحاول أن يقرأ النص الإيماني كما يشاء، فليس من إنسان مخصوص، وليس من شيء غير مسخر لخدمة الإنسان وقضاياه وحياته وحبه.

وبعد أن سخر لنا، للإنسان كل ما في السموات والأرض تحدث عمّا لا يحب، وإن كنا قارئين عقلانيين محبين للنص فإننا سنعرف أن ما لا يحبه الله هو ما يتعلق بالإنسان والحب بينه وبين أخيه الإنسان (لا يحب الله الجهر بالسوء) (إنه لا يحب الظالمين) ولو أمعنا النظر فإنه ما من شيء يغادر الحب، وما من شيء يتعلق بالله، فإنه لا يحب الجهر بالسوء، وفي حياتنا الجهر بالسوء إساءة للآخر وكرامته وحياته، والجهر بالسوء يتنافى مع الحب الإلهي الذي أراده بيننا، وإن لم نجهر بالسوء، فإننا سنكون متحابين... ولا يحب الظالمين، وما من عاقل يتهيأ له أن الظلم يقع على الله، بل الظلم الذي يقع من الإنسان على الإنسان، أما قرأنا يوماً (فلا تظالموا)؟ الظلم أيضاً علاقة تبادلية، فظالم ومظلوم في أي جانب كان، في شخصه، في حياته، في رزقه، في دمه، في اعتقاده وإيمانه ويقينه، الظالم لا يحبه الله لأنه يتجافى مع فطرة الحب العظيم الذي يجب أن يعيشه الإنسان الذي خلق من أجل الحب وليس للظلم.

وفي الحديث دعوات للحب لا تتوقف: تحاببتم، أفشوا السلام بينكم.. دلنا الرسول صلى الله عليه وسلم على ما إذا فعلناه تحاببنا: أفشوا السلام.. والقراء لهذا الكلام العظيم قرؤوه بأن يرتفع الصوت بإلقاء السّلام والتحية وهذا الأمر على أهميته ليس مقصوداً، وإنما المقصود أن يسعى الإنسان لتعم حياة السلام في كل الأرجاء، فالسلام إيمان وتسليم وحب، وهذا عكس ما نراه في كل تصرف من تصرفات حياتنا، فنحن نلقي السلام ونظلم ونطعن ونقتل ونسرق ونعتدي ونفسد في الأرض، مع أننا ندرك أن رحلتنا في الأرض قصيرة وبسيطة لا تتسع حتى للحب الذي أراده الخالق لحياتنا، ولو تفرغ واحدنا للحب وحده فإن الحياة ستمضي من دون أن ندرك جوهر الحب فما بالنا فيمن يترك هذا الحب ليعمل على قهر الإنسان وظلمه؟

أما نتقي دعوة مظلوم في جوف الليل؟
أما نرجو حباً في قلب الظلم والكره؟
أما نرجو سلاماً في قلب الحرب والدمار؟

هو الحب العطاء وقد قال (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) لقد خلقه لنا لنستمتع ونحب ونعيش، ولم يخلق ذلك له، ولا لأحد مخصوص، فلنتمثل هذا الحب الأسمى بين الله والإنسان، وأي حب آخر يمكن أن يكون محط استغراب إلا هذا الحب العظيم والباقي.

إسماعيل مروة

التراث السوري... الواقع والتحديات

ندوة تستعرض ما آلت إليه أحوال تراثنا مع الجهود الجبارة للحفاظ عليه

من الندوة

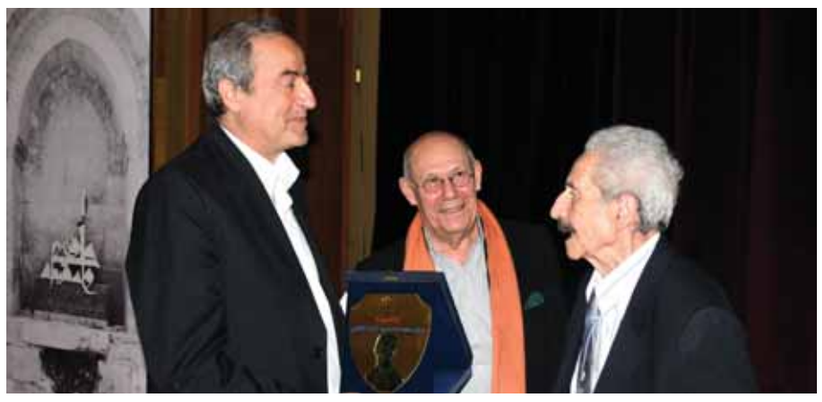

بشير زهدي أثناء التكريم

سوسن صيداوي ت: أسامة الشهابي

ما تعرض له التراث السوري من انتهاكات للأسف لم تهز العالمية بطرف العين، الانتهاكات ليست في وجه حجر بهيئة أثر، بل هي انتهاكات صارخة تمسّ حياة كلّ مواطن عاش وسيعيش فوق أرض سورية لا محدودة بكليتها. ولأننا في وقت يتطلّب ألا تكون المبادرات فردية، لذا بدأت المساعي انطلاقا من المركز الوطني للفنون البصرية في دمشق وبالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف، بإقامة ندوة حوارية بعنوان: التراث السوري | الواقع والتحديات | . حيث جرى تكريم الباحث بشير زهدي بتقديم درع له من المديرية، ولوحة فنية أصليّة تعود للفنان العالمي (تيتيانو) أحد فناني عصر النهضة، تقدمة من د. غياث الأخرس. وتناولت أيضاً الندوة محاور تشرح ما آلت إليه المواقع الأثرية من تخريب وتدمير، وكيف تم تدارك الأمر بشكل إسعافي على الرغم من كلّ التحديات، مع نقل وتغليف الآثار، مرورا بعودة افتتاح المتاحف، والأفق المطلوب عند إنشاء متاحف جديدة، مع شرح مستفيض لعمليات استرداد الآثار المهرّبة، وختاماً بعرض لإستراتيجية المديرية، مع حوار طويل، ركز على ضرورة دعم مديرية الآثار، وتأمين احتياجاتها من كوادر وإمكانيات، لتتمكن من القيام بواجبها في حفظ وحماية التراث السوري للأجيال القادمة.

د. غياث الأخرس

افتتح الندوة د. غياث الأخرس رئيس مجلس إدارة المركز الوطني للفنون البصرية بكلمة أكد فيها قوة انتماء الشعب السوري لثقافته واعتداده الكبير بها: «لم أر شعباً منتمياً لآثاره مثل الشعب السوري، لم أر شعباً ذواقاً للموسيقا و(سميّعاً) كشعبنا، وكلامي هذا جاء من المتابعة عبر ما يقدمه المركز من نشاطات، فمنذ أربع سنوات، أقمنا معرضاً للآثار المستعادة، لقد كان جميلاً جداً والجمهور أعجب به كثيراً، كنت بينهم لا كمدير بل كزائر، لمست حبهم الكبير لوطننا ومكنوننا الثقافي من خلال لهفتهم ودموعهم برؤية الآثار، كنت أسألهم والإجابة تكون بالشكوى لعدم تمكنهم من رؤية الآثار». مشدداً على تقصير الإعلام من هذه الناحية: «الإعلام مقصر، ونحن لا يوجد لدينا إعلام ثقافي، علينا العمل الجاد لوضع وثيقة عمل إعلامية–تعرض بشكل يومي على كل وسائل الإعلام–تجمع بين مديرية الآثار والمتاحف مع وزارة الإعلام ووزارة التربية ووزارة التعليم العالي، كي يتمكن طلاب الجامعات من حضور المتاحف ورؤية الآثار للتعرف إلى موروثنا الثقافي والحضاري، لكون هؤلاء الشباب هم من سيبنون المستقبل». هذا كما هنّأ الأخرس المديرية العامة للآثار والمتاحف على جهودها الجبارة التي بذلتها خلال سنوات الحرب الثماني الماضية على سورية.

د. محمود حمود

على حين شكر د. محمود حمود المدير العام للآثار والمتاحف الدكتور غياث الأخرس، على مبادرته الجميلة والدّالة على التمسك الكبير بموروثنا الثقافي، مع ضرورة المحافظة عليها واستعادتها مع ترميم ما تعرض منها لكوارث تخريبية، كما أنها ساعية لرفع الوعي بقيمة تراثنا: «نحن نعاني من أزمة حقيقية لما نهب وخرّب ودمر من آثارنا سواء أكان في المتاحف أم في المواقع الأثرية».

وبالطبع تخللت المبادرة تكريما للباحث بشير زهدي أمين المتحف الكلاسيكي ثم الوطني في دمشق، لقرابة نصف قرن، وتابع د. حمود في حديثه عن الإنجازات العلمية للأستاذ زهدي والتي زادت على ١٥٠ بحثا، ونحو ١٥ كتاباً، قائلا: «نحن بهذه المناسبة نكرّمه بشكل رمزي، وأنا أشبهه بهذا الوطن الجميل والعذب، فهو بعطاءاته اللامحدودة كالتربة الخصبة، كان يعطي من دون أن يسأل عن أي مقابل، حتى إنه خلال عمله كأمين للمتحف لم يطلب سيارة، إنه نموذج للمواطن السوري الذي نعتدّ به ونأمل أن تتمثل به أجيالنا القادمة».

وبعد ذلك جرى تقديم درع إلى الأستاذ بشير وقدم د. الأخرس لوحة فنية أصلية للفنان العالمي (تيتيانو) أحد فناني عصر النهضة.

الباحث بشير زهدي

من جانبه أعرب الأستاذ بشير زهدي عن سعادته بتكريمه معتبراً هذا اليوم هو من أجمل أيام حياته: «في الواقع الفن يجمع القلوب والأفكار، وينقي النفس البشرية، ومما لا شك فيه أن كلية الفنون الجميلة أسهمت بهذا من خلال أساتذتها ومنهم على سبيل الذكر أ. محمود جلال، وأ. محمود حماد». مشيراً إلى أن مجلة الحوليات الأثرية السورية التي تأسست بمساعي د. سليم عادل عبد الحق، نشرت دراسات متنوعة وغنية جداً بدور الإنسان في بناء الحضارة».

د. مأمون عبد الكريم

ثم تابعت الندوة أعمالها فتحدث د. مأمون عبد الكريم عن إجراءات الحماية للتراث السوري في السنوات السابقة، مستعرضاً الجهود التي قامت بها المديرية منذ بداية الحرب والصعوبات التي كانت تواجه العمل، وكيف تمكن كادر المديرية من العمل على نقل مقتنيات العديد من المتاحف للحفاظ عليها من الدمار والخراب: «بعض المناطق تعرضت للتدمير بسبب الاشتباكات، وبعض القلاع اتخذت أماكن لارتكاز المسلحين، كما أن السرقات والنهب والتنقيب السري في المواقع الأثرية، سبّب تهريب آلاف القطع الأثرية خارج سورية، وهي الآن في تركيا وغيرها من الدول الطامعة بآثارنا، وسنحتاج إلى أكثر من خمسين عاماً لنتمكن من استعادتها، وهذا الإجراء هو من أكثر المعارك الصعبة التي سنخوضها». مشيراً إلى ما قامت به المديرية في خططها للحفاظ على الآثار، اليوم يحاول الكثير من الدول في العالم الاستفادة مما قامت به من إجراءات، وعلى رأسها السودان.

د. محمد نظير عوض

من جانبه تحدث محمد نظير عوض مدير شؤون المتاحف عن واقع المتاحف السورية وإعادة افتتاحها: «قبل الأزمة كانت كل المتاحف مفتوحة وفي كل المحافظات من دون استثناء، فلدينا في سورية ٣٢ متحفاً في ١٣ محافظة، وفي بداية عام٢٠١٢بدأت الأزمة بشكل عشوائي وتصاعدت الأحداث، ولم يكن لدينا أي خطة لإخلاء المتاحف في حال حدوث أي أمر طارئ، ولكن مع تصاعد الأحداث بدأت المديرية بالتحضير لنقل ما أمكن نقله، مع القيام بإجراءات التعليب والتغليف والقيام بتجهيز الأماكن الآمنة. وأيضاً قمنا بإصدار لوائح بالآثار، وتجاوزنا كل الصعاب، وبعد انتهائنا من خطة الإخلاء، ومع عودة الأمان انتقلنا إلى افتتاح المتاحف من جديد، في البداية تم فتح متحف طرطوس، ومن ثم متحف دمشق الوطني، وحالياً يتم التحضير لإعادة افتتاح متحف حلب، مع عودة دور المتاحف الاجتماعية والثقافية، إضافة إلى الجهود والمساعي القائمة من المديرية في وضع خطط لتحديد الأفق الجديد للمتاحف سواء عن دورها الحقيقي، أم شكلها وطرق بنائها وحمايتها».

د. أحمد ديب

من جانبه بين د. أحمد ديب مدير المباني في مداخلته عن واقع المدن التاريخية وتقييم الأضرار والخطط المستقبلية، مشدداً بأن أي مواطن سوري هو معني في المشاركة بالخطط التي تضعها المديرية وهذا شأن عام ويخص الجميع: «المبادرات الفردية يجب أن تتطور وتصبح مبادرات جماعية، والمساعي المبذولة في الوقت الحالي يجب أن تكون جماعية وشأن الجميع، أما بالنسبة لواقع المدن التاريخية والأثرية، فقد لفت إلى تعرض الكثير من المواقع الأثرية للتخريب والدمار وتهريب المقتنيات من العصابات الإرهابية، كما حصل في حلب وتدمر وقلعة الحصن ومعلولا، إلا أن المديرية قامت بعمليات إسعافية لمحاولة الحد من الأضرار قدر المستطاع، حيث بدأنا بأرشفة وتوثيق القطع الأثرية وفق المواصفات العالمية، كما بدأنا بتقييم الأضرار، بمساعدة ودعم من المجتمع المحلي، وهذه المساعدات الطيبة لا تقارن بالتعاون الخجول المقدم من اليونسكو والمنظمات العالمية».

د. همام سعد

على حين تحدث د. همام سعد في مداخلته عن الاتجار غير القانوني بالتراث الثقافي وقضية الاسترداد للممتلكات الثقافية: «موضوع استرداد الآثار شائك وصعب وهذا أمر لم نألفه في سورية ولكن مع بداية الحرب، أصبحنا نرى الآثار في السوق السوداء وعلى الإنترنت، وهنا أشير إلى نقطة مهمة بأن المساعي تكون لاسترداد القطع عبر شقين الأول دبلوماسي والثاني عبر المحاكم، والأخير مكلف للغاية، على حين الأول غير ممكن دائما، لانقطاع التواصل مع كثير من الدول والتي هي ساعية لآثارنا السورية، وتجدر الإشارة إلى أن تهريب الآثار قد تم ولاسيما عبر الحدود الشمالية والحدود الجنوبية، ومن جهة حدودنا مع العراق كانت طرق التهريب تتم على نطاق ضيق، وهنا أشير إلى أن الدولة العربية التي تعاونت معنا هي لبنان، وتمكنا من استعادة الكثير من القطع المهربة».

في ختام الجلسة

اختتم د. محمود حمود المدير العام للآثار والمتاحف الندوة، بعرض بانورامي لواقع الآثار السورية التي عاشت–بحسب تعبيره–تغريبة حقيقية أليمة أدت إلى فقدان جزء مهم من تراثنا السوري، متابعاً عرضه لإستراتيجية عمل مديرية الآثار خلال المرحلة القادمة ومنها نذكر: توثيق الأضرار التي تعرضت لها المواقع الأثرية، ومتابعة توثيق القطع الأثرية الموجودة في المتاحف، إنشاء متحف افتراضي على الشبكة حيث يستطيع الجميع أينما كانوا الاطلاع على القطع المتحفية المعروضة، العمل على وضع أطلس للمواقع الأثرية تعرّف بها وبأهم المكتشفات فيها، كذلك ومن الخطة الإستراتيجية للمديرية تركيزها بفتح علاقات جديدة مع الشرق كالصين واليابان وإيران وروسيا ودول أوروبا الشرقية، وتعزيز التعاون مع الجهات والبعثات التي وقفت معنا خلال الحرب ومنها البعثات اليابانية وبعض البعثات الإيطالية والألمانية والفرنسية وغيرها، كما ستعمل المديرية على إصدار قانون جديد للتراث السوري يواكب القوانين العالمية ويحمي تشريعياً هذا التراث، إضافة إلى بذل المساعي لتحويل المديرية إلى هيئة عامة تتبع رئاسة مجلس الوزراء ما سيعطي هذه المؤسسة استقلالية أكثر وإمكانيات أكبر.

وأيضاً ختمت الندوة بحوار طويل، ركز على ضرورة دعم مديرية الآثار، وتأمين الاحتياجات المطلوبة من كوادر وإمكانيات، لتتمكن من القيام بواجبها في حفظ وحماية التراث السوري للأجيال القادمة.

اختبارات لقياس درجة التفاؤل عند الإنسان في مختلف مراحله العمرية

سارة سلامة

كتاب حديث صدر عن وزارة الثقافة– الهيئة العامة السورية للكتاب بعنوان «قوة التفاؤل.. تعلم الثقة بالحياة» تأليف مارتان سيليغمان، وترجمة الدكتور غسان السيد. وهو من الكتب المهمة التي تسهم في تطوير الذات وتقويتها ومدها بكامل الثقة والشجاعة والتفاؤل الذي ينعكس بشكل عام على الصحة العقلية والجسدية ويعطي انعكاسات إيجابية لها علاقة بالأشخاص أنفسهم وكذلك مع الجو المحيط. وهو ما دفع السيد إلى حث القراء على قراءة الكتاب كله من أول كلمة إلى آخر كلمة. كما نصح مراكز البحوث المتخصصة بالاستفادة من الاختبارات الموجودة فيه. ولاسيما أن مجتمعنا يعاني أزمات نفسية مركبة بسبب طبيعة الأزمات التي نمر بها.

قياس درجة التفاؤل

وفي تقديم الكتاب يقول الدكتور السيد: «تأتي الأهمية الخاصة لهذا الكتاب من الاختبارات العديدة التي صممها المؤلف من خلال دراسات معمقة أجراها في أهم مراكز البحوث الأميركية، التي تستفيد منها أهم شركات التأمين في الولايات المتحدة من أجل توظيف موظفين جدد على درجة عالية من التأهيل والاستعداد النفسي، إن الاختبارات الموجودة في هذا الكتاب، التي صممت لقياس درجة التفاؤل عند الإنسان في مختلف مراحله العمرية، تفيد المؤسسات التي تعمل على تطوير برامج عملها، كما تفيد المؤسسات التي تعمل على تطوير التعليم، لأن هذه الاختبارات تحدد مدى قدرة كل شخص على تحمل أعباء العمل الذي سيقوم به، إن دراسة طريقة تفسير الشخص لمصاعب الحياة التي تواجهه تدل على توجهاته المستقبلية إذا كانت طريقة التفسير متشائمة وتحمل صفة التعميم والديمومة والشخصية فإن لذلك تأثيرات كبيرة في حياة الشخص، وتؤدي غالباً، إلى الدخول في اكتئاب حاد، أما إذا كانت طريقة التفسير متفائلة فإن الإنسان ينهض ثانية حين يواجه صعوبة معينة في حياته.

وللكتاب أهمية خاصة أخرى هي أنه يدرس المشكلات النفسية التي يتعرض لها الأطفال حين يقعون ضحية المشكلات الأسرية المختلفة، وقد عمل المؤلف على تصميم نماذج خاصة من الاختبارات التي تساعد الوالدين على اكتشاف درجة خطورة الاضطرابات النفسية التي يمكن أن يتعرض لها أطفالهم ومحاولة معالجتها قبل أن تزداد خطورتها».

الشعور بالعجز ليس نادراً

وفي الباب الأول وتحت عنوان «الشعور بالعجز ليس شعوراً نادراً» يقول المؤلف إنني: «فهمت لما كان عمري ثلاثة عشر عاماً، أنه حين كان والداي يرسلانني لقضاء ليلة عند أفضل صديق لي، وهو جيفري، كان ذلك يعني أنه توجد مشكلة كبيرة في البيت، آخر مرة حدث هذا، عرفت، بعد ذلك، أن أمي أجرت عملية استئصال رحم.

في هذه المرة، كان من الواضح أن أبي هو الذي كان يعاني، رافقني إلى بيت جيفري في ذلك المساء وفجأة أخذ شهيقاً عميقاً وركن السيارة جانب الرصيف، بقينا لفترة طويلة صامتين، ثم أخبرني، في دقيقة أو دقيقتين، أنه فقد الإحساس بالجانب الأيسر من جسده، إن الرعب الذي ظهر في صوته انتقل إلي بسرعة كان عمره تسعة وأربعين عاماً فقط وكان لا يزال بكامل صحته، بعد دراسات مرموقة في الحقوق، ونتيجة لأزمة الثلاثينات الكبيرة، فضل الأمن الذي تؤمنه وظيفة على عدم اليقين في وظيفة تؤمن دخلاً أفضل، من دون شك، اتخذ أول قرار شجاع في حياته حين طلب العمل في ولاية نيويورك. كنت فخوراً به بالنسبة إليّ. لقد مررت بأول أزمة في حياتي، في ذلك الوقت في بداية العام الدراسي، في تلك السنة أخرجني والدي من المدرسة الرسمية التي كنت سعيداً فيها، لأجل إرسالي إلى مدرسة عسكرية خاصة، وكان مقتنعاً أنها المؤسسة الوحيدة في مدينة ألباني التي يستطيع طلابها دخول جامعات مرموقة، فهمت سريعاً أنني كنت الصبي الوحيد القادم من الطبقات الوسطى بين أطفال الأغنياء. شعرت بالتهميش والوحدة بشكل سريع».

قوة فاعلة في جوانب حياتنا

أما في الباب الثاني فيتطرق إلى (قوة فاعلة في جوانب حياتنا كلها) قائلاً: «في رحلة طويلة بالطائرة، كان من عادتي أن أجلس جانب النافذة، وأن أنظر إلى الخارج لكي أتجنب الحديث مع جاري، وهكذا وفي يوم من أيام آذار عام ١٩٨٢، وفي بداية رحلة بين سان فرانسيسكو وفيلادلفيا، لاحظت بانزعاج أن هذه الخدعة لن تنطلي على أحد هذه المرة، قال جاري بحرارة: «صباح الخير. أنا جون ليسلي، وأنت؟» «آه لا! الرحمة! فكرت. إنه ثرثار» همست باسمي، وسلمت عليه ببرود على أمل أن تدفعه طريقتي اللطيفة إلى التوقف. مع الأسف لم تحبطه طريقتي بالسلام، فلم يتوقف عن السلام، فلم يتوقف عن الكلام. شرح لي، وقد بدأت الطائرة بالتحرك ببطء على مدرج الإقلاع، إنه يعمل في تربية الخيول، «حين أصل إلى مفترق، ليس علي إلا التفكير في الوجهة التي سيأخذها الحصان لكي أوجهه. وأنا في عملي، أعمل على تربية الناس: ليس علي إلا التفكير في ما أريد الحصول عليه منهم لكي يقوموا به». هكذا بدأ حديث غير متوقع، ولم يكن مرغوباً فيه، من جهتي ولكنه شكل منعطفاً مثيراً في مسار أعمالي، كان ليسلي متفائلاً منيعاً، لا يترك فرصة، لأنه لم يشك لحظة في تأثير كلماته فيّ. وهكذا لما كانت الطائرة تحلق فوق جبال السيرا نيفادا، كنت أستمع إليه باهتمام كبير.

ويناقش المؤلف فكرة مهمة وهي (كيف يصل التفاؤل أو التشاؤم إلى الأطفال) ويقول: «سواء كنا متفائلين أم متشائمين، فإن طريقة تفسيرنا للحياة، وللحظات السعادة أو التعاسة فيها، ترتسم إبان مرحلة الطفولة، وتصبح جزءاً لا يتجزأ من الشخصية. تعمل هذه الطريقة كمصفاة لحالات الفشل والنجاح القادمة كلها، وتصبح عادة طريقة تفكير ثابتة في هذا الفصل، وسنرى صدى طريقة التفسير على الأطفال، والوسائل الممكنة لتغيير مسارها.

اختبر تفاؤل طفلك، كيف يفكر؟ وكيف تفكر؟

تتطور طريقة فهمنا للحياة وما يرافقها من سعادة وتعاسة، وتبدأ تتضح من سن السابعة، يمكنك أن تقيمه لدى ابنك أو ابنتك بفضل اختبار خضع له آلاف الأطفال من قبل. يشبه هذا الاختبار كثيراً اختبار الفصل الثالث، ويمكن لطفل بين ثمان وثلاث عشرة سنة أن يخضع للاختبار في عشرين دقيقة تقريباً. إذا كان طفلك أكبر من ذلك، فاقترح له الاختبار الموجود في الفصل الثالث. بالنسبة إلى الأطفال الأقل من ثماني سنوات، لا يوجد أي اختبار من هذا النوع يناسبهم بصورة كاملة، ولكن ثمة طريقة لقياس طريقة تفسيرهم، وسأقدمها لاحقاً في هذا الفصل. فرّغ، إذاً عشرين دقيقة، واجلس مع ابنك وقدم له الاختبار: «الأطفال كلهم لديهم طريقتهم في التفكير. لقد قرأت كتاباً بهذا الخصوص، وأتساءل كيف تفكر في بعض الأشياء التي يمكن أن تحصل معك. هذا مفيد حقيقة: توجد مجموعة من الأسئلة حول ما تفكر فيه كل سؤال يشبه قصة صغيرة، ويمكنك أن تتصرف مع كل قصة بطريقتين مختلفتين. عليك أن تختار أحد الجوابين. الذي يناسب تماماً ما تشعر به إذا ما كانت القصة تهمك حقيقة».